﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ١٥﴾ [القصص: 15]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

مـقـاديـرُ الـلـه سبحانه لموسى عليه السلام بـالابـتـلاء بعد الاصطفاء

لمّا ذكرَ اللّهُ سبحانه مبدأَ أمر موسى عليه السلام، وأنَّه لـمّا بلغ أشُدَّه، واستوى؛ آتاه اللّه حُكمًا وعلمًا؛ ذكرَ تعالى سبب وصولِه إلى ما كان تعالى قَدَّرَهُ له من النُّبوَّةِ والتَّكليم في قضيَّة قتْلِه القِبْطيَّ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿غَفْلَةٍ﴾: (غفل) أصلٌ صحيح يدلُّ على ترك الشَّيء سهوًا، وربَّما كان عن عمدٍ، من ذلك: غفلت عن الشَّيء غفلة وغُفولًا؛ وذلك إذا تركْتُهُ ساهيًا، وأغفلته؛ إذا تركته على ذُكرٍ منك له[2]، والغَفْلَةُ: سهوٌ يعتري الإنسان من قلَّةِ التَّحفُّظ والتَّيقُّظ، يقال: غَفَلَ، فهو غافِلٌ، قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ [ق: 22]، ﴿وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١﴾ [الأنبياء: 1]، وكلُّ ما في القرآن من التَّركيب هو من الغفلةِ بمعنى عدم التَّنبُّه[3]، ومعناه في الآية: أنَّ موسى عليه السلام دخلَ المدينةَ، في وقت عدم تنبُّهِ أهلِها لما يجري فيها، وهو وقتُ استراحة النّاس وتفرُّقهم وخلوِّ الطريق منهم[4].

2) ﴿شِيعَتِهِۦ﴾: (شيع) أصلٌ يدلُّ على مُعاضدة ومُساعفة، ومنه

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 06/ 202.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (غفل).
(3) الراغب، المفردات، ومحمّد حسن جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (غفل).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 88.

قولهم: شَيَّع فلانٌ فلانًا عند شخوصه[1]، والمشايعةُ المتابعةُ على أمر مُعيَّن، ومِن معانيه الظُّهور والتَّفرُّق[2]، والشّيَعُ: الفِرَقُ الَّتي يتابِع بعضُها بعضًا[3]، وليس شرطًا أن يكون تجمُّعهم على خير أو صواب، والشّيعة: من يتقوّى بهم الإنسان، وينتشرون عنه، والشّيعَة: أتباع الرجل وأنصاره، وجمعها: شيَعٌ وأشْياع[4]، فالمراد بالذي مِن شيعتهِ في الآية: أنَّهُ رجلٌ مِن قومهِ بني إسرائيلَ[5].

3) ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ﴾: (غوث) أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الإغاثة والنُّصرة عند الشِّدَّة[6]، يقال: أغاثَهُ يُغيثه؛ إذا نصره على عدوِّه، وأعانه عليه، واستغاثه: طلبَ الغوث، وهو التَّخليص من الشِّدَّة، والعون على الفِكاك من الشَّدائد[7]، واستغاثةُ الإسرائيليِّ بموسى في الآية معناه: طلبُ نصرتهِ على القبطيِّ.

4) ﴿فَوَكَزَهُۥ﴾: (وكز) أصلٌ صحيح، يقال: وكَزه: طعنه، ووكزه: ضربه بجمع كفِّه، ووكزه: دفعه[8]، والمقصود في قوله تعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾، أي: ضربه بجميع الكفِّ[9].

5) ﴿فَقَضَىٰ﴾: (قضى) أصلٌ صحيح يدلُّ على إحكام أمرٍ وإتقانه وإنفاذه لجهته، والقضاء: الحكم، ولذلك سمّي القاضي قاضيًا؛ لأنَّه يُحكم الأحكام ويُنفِّذها، وسمّيتِ المنيَّة قضاء؛ لأنَّه أمرٌ ينفذ في ابن آدم وغيره من الخلق[10]، ويُعبَّر عنِ الموت بالقضاء، فيقال: فلانٌ قَضَى نحبَّه، كأنَّه فصل أمره المختصَّ به من دنياه، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ﴾ [الأنعام: 2]، قيل: عني بالأوَّل: أجل الحياة، وبالثاني: أجل البعث، وقال: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ﴾ [الزخرف: 77]، وذلك كناية عن الموت[11]، وهو المقصود في الآية.

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (شيع).
(2) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللّغة: (شيع).
(3) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفاظ: (شيع).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللغة، وابن سيده، المحكم، والراغب، المفردات: (شيع)، والزّجاج، معاني القرآن: 03/ 174، وابن الهائم، التّبيان في تفسير غريب القرآن، ص: 205.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 89.
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (غوث).
(7) الزبيدي، تاج العروس: (غوث).
(8) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (وكز).
(9) الراغب، المفردات: (وكز).
(10) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (قضي).
(11) الراغب، المفردات: (قضي).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

دخـــولُ مـوسى عليه السلام المـديـنـةَ ووقــوع حادثة القتل

يُخبر اللهُ سبحانه عن موسى عليه السلام أنَّهُ دخلَ المدينةَ مستخفيًا وقتَ غفلةِ أهلِها، فوجد فيها رجلين يقتتلان: أحدُهما من قوم موسى من بني إسرائيلَ، والآخرُ من قوم فرعونَ، فطلب الَّذي من قوم موسى النَّصرَ على الَّذي من عدوِّه، فضربه موسى بجُمْع كفِّه، فمات، فقال موسى حين قتله: هذا من نزغ الشَّيطان، بأن هيَّج غضبي، حتّى ضربتُ هذا، فهلك، إنَّ الشَّيطان عدوٌّ لابن آدم، مُضِلٌّ عن سبيل الرَّشاد، ظاهر العداوة[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

مناسبةُ الوصل بالواو في الآية:

عـطـفُ قـصَّـةِ مـــوسى مـع الـقـبـطـيِّ على قصصه السّابقة

عُطِفَ قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾، على ما قبله بحرف الواو الدّالِّ على الجمع والاقترانِ؛ لأنَّه من عطف جزء القصَّة على جزءٍ آخرَ منها، بدايةً من قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: 7]، كما يشعر هذا العطفُ بأنَّ أخبارًا كثيرة من حياة موسى عليه السلام تنبئ عنها القصَّة قد طويت للوصول إلى محلِّ العِبرة منها.

فائدةُ التعريفِ بـ(أل) في ﴿ٱلْمَدِينَةَ﴾:

عـــدمُ تـعـيـينِ المعهود بالذكر عادةٌ قرآنية

جاء لفظُ ﴿ٱلْمَدِينَةَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ معرَّفًا باللّام، وهي لام العهد؛ لأنَّ الكلامَ حاصلٌ عن مدينةٍ بعينها معهودةٍ في الذِّهن، وإن لم يعيِّنها القرآن؛ لعدم ترتُّب فائدة على ذلك[2]، فذكر النَّظم القرآنيُّ لفظَ المدينة مبهمًا دون تعيين اسمها؛ لعدم ارتباط المقصدِ والعِبرة من القصَّة به، وإن ذكرَ بعضُ المفسِّرين أسماءً لها.

(1) نخبة منَ العلماء، التّفسير الميسر، ص: 387.
(2) الخطيب القزويني، الإيضاح: 2/ 21.

سرُّ التَّعبير بـ ﴿عَلَىٰ﴾ دون غيره:

دخـــولُ مـوسى عليه السلام المـديـنـةَ متمكِّنًا

أوثرَ التَّعبيرُ بحرف الجر ﴿عَلَىٰ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾، ودخوله على الظَّرف ﴿حِينِ غَفْلَةٍ﴾، فذهب بعضُ النُّحاة إلى القول بالتَّضمين، أي: إنَّ حرف ﴿عَلَىٰ﴾ ضُمِّن معنى (في) الدّالِّ على الظَّرفية بمعنى (في حين غفلة)[1]، والرّاجح أنَّ النَّظم القرآني البديع آثر حرف ﴿عَلَىٰ﴾ دون غيره؛ لما يدلُّ عليه من الاستعلاء المجازيِّ، كما في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: 5]، أي: متمكِّنًا من حين غفلة أهلها[2].

دلالةُ الإتيانِ بالظَّرف الزماني ﴿حِينِ﴾:

عـــدمُ شـعـورِ النّـاس بحادثة قتْلِ القبطي

دلَّ قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾، على الوقت الَّذي يغفلُ فيه أهلُ المدينة عمّا يجري فيها، وهو وقتُ استراحة الناس وتفرُّقهم وخلوِّ الطَّريق منهم، وقيل: كان ذلك في وقت القيلولة، وكان موسى مجتازًا بالمدينة وحده ليلحق بفرعون؛ إذ كان فرعونُ قد مرَّ بتلك المدينة، والمقصودُ من ذكر هذا الوقت الإشارةُ إلى أنَّ قتْلَهُ القبطيَّ لم يشعرْ بِهِ أحدٌ؛ تمهيدًا لتتمَّة القصَّة، ومقدِّمةً لذكر خروجه من أرض مصر[3].

نكتةُ العدولِ عن الإضافة في ﴿غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾:

خلوُّ المدينةِ من النّاس في وقت القيلولةِ والرّاحة

وردَ في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ لفظُ ﴿غَفْلَةٍ﴾ منوَّنًا نكرة، والغرض من تنكيرِهِ: الإبهامُ المستلزم للتَّفخيم، بمعنى: غفلةٍ عظيمة من أهلها، ولهذه النُّكتة عدل النَّظمُ القرآنيُّ عن الإضافة (غفلة أهلها) إلى التَّنوين لإفادة التفخيم[4]، وقد اختلفوا في تحديد وقت هذه الغفلة العظيمة على أقوال، أرجحها أنَّه وقتُ

(1) فاضل السامرائي، معاني النحو: 3/ 94.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 88.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 88.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 262.

القائلة، وهو حين الغفلة، وقيل: هو ما بين العشاء والعتمة، وقيل: على غفلةٍ بنسيان النّاس لأمرهِ وبُعدِ عهدِهم بهِ، وقيل: كان يوم عيد[1].

نكتةُ التَّعبيرِ بالفعل ﴿فَوَجَدَ﴾ دون غيره:

تتابعُ الأحداث بشكل مفاجئ في قصَّة موسى عليه السلام

عُطِف قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾ على ما قبلَهُ بحرف الفاء الدّالِّ على التَّعقيب، ممّا يدلُّ على تتابع أحداث القصَّة وتسارعها في المدينة الَّتي دخلها، والمقصود: أنَّ موسى عليه السلام بمجرَّد أن دخل المدينة حتّى وجد فيها رجلين يقتتلان، وأوثر التَّعبيرُ بالفعل ﴿فَوَجَدَ﴾؛ للدَّلالة على المفاجأة والمباغتة، بمعنى أنَّ موسى عليه السلام دخل المدينة من غير ميعادٍ، فوجد ما لم يكن يتوقَّعُهُ، أو يخطر ببالهِ، فالسّياق يشير إلى أنَّ وجدانه الرجلين يقتتلان حصلَ فجأةً.

مناسبةُ تقديمِ شبه الجملة ﴿فِيهَا﴾:

الاهتمامُ بمكان وقوعِ أحداث القصَّة

تقدَّم في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾ الجارُّ والمجرور ﴿فِيهَا﴾ على المفعول لنكتة الاهتمام بمكان حصول هذه الأحداث العظيمة لموسى عليه السلام، وهي المدينةُ التي دخلها في وقت الغفلة.

سرُّ التَّنكيرِ في لفظ ﴿رَجُلَيْنِ﴾:

معرفةُ موسى لطائفة الرَّجلين دون أعيانهما

جاء لفظُ ﴿رَجُلَيْنِ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾ نكرةً للدلالة على الإبهام والشّيوع، فموسى عليه السلام لا يعرف هذين الرجلين، وليس على عهد بهما، ولا يعرف أعيانهما، وإنَّما عرف الطّائفة الَّتي ينتمي إليها كلٌّ واحد منهما.

دلالةُ التَّعبيرِ بصيغة المضارع ﴿يَقْتَتِلَانِ﴾:

ملازمةُ الرَّجلين للتَّضارب ومقدِّمات القتل

وُصفت النَّكرةُ ﴿رَجُلَيْنِ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾ بالجملة الفعلية ﴿يَقْتَتِلَانِ﴾، وهي في موضع الصِّفة لرجلين؛ تصويرًا للحالة الَّتي كانا عليها من الاقتتال، وقال ابن

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 280.

عطيَّة: "هي في موضع الحال بمعنى مُقتَتِلين"[1]، وهو على مذهب سيبويه من جواز مجيء الحال من النَّكرة من غير شرط[2].

وأوثر التَّعبيرُ بصيغة المضارع في الفعل ﴿يَقْتَتِلَانِ﴾ دون غيرِها من الصّيغ؛ للدَّلالة على الحال الحاضرةِ وتصوير الموقف، كأنَّ القارئَ يراه بعينيه، فموسى ﷺ عندما دخل المدينة؛ وجد فيها رجلين يتضاربان، ويلازمان مقدِّمات القتل من الضرب والقتل[3].

بلاغةُ الاستعارةِ في قوله: ﴿يَقْتَتِلَانِ﴾:

تضمَّنَ قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾ صورة بيانيَّة من نوع الاستعارة؛ لأنَّ المقصودَ أنَّ الرجلين اختصما، وتضاربا ضربًا شديدًا، وهو المعبِّر عنه بالتقاتل على سبيل الاستعارة التصريحية، حيث شبَّه التضارب بالتقاتل في الشِّدَّة، فحذف المشبَّهَ، وصرَّح بالمشبَّهِ به.

تصويرُ شدَّةِ تضارب الرجلين وتشبيهه بالقتال

بلاغةُ الفصلِ في ﴿هَـٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾:

فُصِلَ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿هَـٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ عن الجملة السّابقة، وهي قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾؛ لكمال الاتِّصال بينهما، وهو اتِّحاد الجملتين اتِّحادًا تامًّا وامتزاجًا معنويًّا، بحيث تُنزَّل الثّانية من الأولى منزلة نفسها[4]، فقد وقعت جُمْلَةُ: ﴿هَـٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ تفصيلًا لما أُجمل في قوله: ﴿رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾[5].

تفصيلُ ما أُجمِلَ من حال الرجلين

دلالةُ التَّعبيرِ باسم الإشارة ﴿هَـٰذَا﴾:

استُعمِل في قوله تَعالى: ﴿هَـٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ اسم الإشارة ﴿هَـٰذَا﴾، والأصل فيه أنَّه يُستعمل للشّاهد المشار إليه، وجوِّز

قيامُ الحكايةِ في القصص مقام الحضور

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 280.
(2) سيبويه، الكتاب: 2/ 52.
(3) الهرري، حدائق الروح والريحان: 21/ 116.
(4) القزويني، الإيضاح: 3/ 108.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 88.

الإشارة بهذا في هذا السّياق أنَّها واقعةٌ على طريق الحكاية؛ لما وقع وقت الوِجْدان، كأنَّ الرائي لهما يقوله، لا في المحكيِّ لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم، وقال المبرِّد: العرب تشير بـ ﴿هَٰذَا﴾ إلى الغائب، قال جرير:

هذا ابن عمي في دمشق خليفة *** لو شئت ساقكم إليَّ قطينا[1]

وهذه الإشارة قائمةٌ مقامَ الضميرِ في الرَّبط[2]، وقال ابن عاشور: "اسم الإشارة في مثل هذا لا يُراعى فيه بُعدٌ ولا قُربٌ، فلذلك قد تكون الإشارتان متماثلتين كما هنا"[3].

بلاغةُ استعمال ﴿مِن﴾ في ﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾:

موالاةُ موسى عليه السلام لبني إسرائيل

يحتمل أن تكون ﴿مِن﴾ في قَوْله تَعالى: ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ تبعيضيَّةً، بمعنى: أنَّ أحدَ الرَّجلين بعضُ شيعتِه، أي: أتباعه وعلى دينه، ويحتمل أن تكون بيانيَّةً، بمعنى: أنَّ الذي استجاره من أتباعه لا من أتباع غيره.

نكتةُ التَّعبيرِ بلفظ: ﴿شِيعَتِهِۦ﴾:

الشّيعةُ الجماعةُ المنتمية إلى واحد

أوثرَ في قوله تَعالى: ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ التَّعبيرُ بلفظ ﴿شِيعَتِهِۦ﴾، ومعنى الشّيعة: الجماعةُ المنتميةُ إلى أحدٍ، وسُمّيت كذلك؛ لأنَّها تُشايِع غيرها على ما يريد، أي: تتابعه، وتطيعه، وتنصره، وأُطلِقَت على الفرقة من النّاس على سبيل التوسُّع بعلاقة الإطلاق عن التقييد، قال تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٣٢﴾ [الروم: 32]، فالمرادُ بالَّذي من شيعته: أنَّه رجلٌ من بني إسرائيلَ[4].

(1) البيت لجرير في ديوانه، يُنظر: ديوان جرير، دار بيروت، بيروت، 1406 - 1986، ص: 477.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 263.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 88.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 88.

نكتةُ العطفِ بالواو في ﴿وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ﴾:

ذِكرُ الأعداءِ بعد ذِكرِ المشايعين

عُطِفَ قولُهُ تعالى: ﴿وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ﴾ على ما قبلَهُ بحرف الواو الدالِّ على العطف والاقتران، فبعد أن ذكرَ الرَّجلَ الأوَّلَ وانتماءَهُ إلى شيعة موسى عليه السلام؛ عطفَ عليه ذِكرَ الرَّجلِ الثّاني وانتمائِهِ إلى القبط المشركين، وهم عدوُّ موسى عليه السلام.

نكتةُ التَّعبيرِ بالمصدر في ﴿عَدُوِّهِۦۖ﴾:

مجيءُ الوصفِ على وزن المصدرِ يجعلُهُ بلفظٍ واحد

عُبِّرَ في قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ﴾ بلفظ العدوِّ، ومعناه: ذو العداوةِ، وهو فعولٌ بمعنى فاعلٍ من: عَدا يَعْدو، مثل عَفوٌّ، وأصله مصدرٌ على وزن فَعولٍ مثل قَبولٍ ونحوِه من مصادر قليلة، ولكونه على زِنة المصادر عومِل معاملة المصدر، فاستوى في الوصف به المذكَّر والمؤنَّث والواحد والمثنى والجمع، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ [الشعراء: 77]، ويُجمع بكثرة على أعداء، قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٩﴾ [فصلت: 19][1].

بلاغةُ المقابلةِ في قوله: ﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾، ﴿مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ﴾:

توضيحُ المعنى بجمعِ اللفظِ وضدِّه

يتضمَّن قولُهُ تَعالى: ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ﴾ مُحسِّنًا بديعيًّا من نوع المقابلة، حيث قابل بين كون أحد الرجلين من شيعته، وكون الآخر من عدوِّه، وبينهما تضادٌّ يثير الذِّهن، ويجذب الانتباه، ويزيد الكلام حُسنًا وطرافة، كما يقوّي المعنى؛ إذ بضدِّها تتمايزُ الأشياء.

دلالةُ الإضافةِ في ﴿شِيعَتِهِۦ﴾، ﴿عَدُوِّهِۦۖ﴾:

نشوءُ موسى على معاداة القبطِ وموالاة بني إسرائيلَ

أُضيفَ لفظا الشّيعةِ والعدوِّ في قوله تَعالى: ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ﴾ إلى ضمير موسى عليه السلام، فالمرادُ بالَّذي من شيعته: أنَّه رجلٌ من بني إسرائيل، وبالَّذي من عدوِّه: رجلٌ من القبط قوم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 133.

فرعون، ويجوز أن يكون المرادُ بهذين الوصفين أنَّ موسى كان يعلم أنَّه من بني إسرائيل بإخبار قصَّة التقاطه من اليمِّ، وأن تكون أمُّه قد أفضت إليه بخبرها وخبره، فنشأ موسى على عداوة القبطِ، وعلى إضمار المحبَّة لبني إسرائيل[1].

نكتةُ العطفِ بالفاء في ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ﴾:

استغاثةُ الإسرائيليّ بموسى عليه السلام فورَ رؤيتِه

عُطِفَ قولُهُ تَعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ بحرف الفاء الدّالَّة على التَّعقيب، ممّا يدلُّ على تتابعِ أحداث القصَّة وتسارعها في المدينة التي دخلَها موسى عليه السلام، فلمّا أبصر أحدُ الرجلين المتقاتلين موسى عليه السلام - وكان من شيعته وأتباعه - سأله الإعانةَ على عدوِّه.

نكتةُ التَّعبيرِ بالفعل ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ﴾:

طلبُ الإسرائيليّ المغلوب الإغاثةَ والنُّصرة من موسى عليه السلام

دلَّتِ السّين والتّاء من الفعل (استغاث) في قوله تَعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ﴾ على طلب الإغاثة والنُّصرة، ويؤيِّدُ ذلك قوله تعالى بعدُ: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ﴾، ويجوز أن يكون معنى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ﴾: استعانه، ولذلك عُدّي بـ﴿عَلَى﴾؛ لتضمينه معنى الإعانة[2].

وأوثرَ التَّعبيرُ بفعل الاستغاثة، ومعناه: طلبُ الغوث - وهو التَّخليصُ من شِدَّة أو العون على دفع مشقَّة، وإنَّما يكونُ هذا الطَّلب بالنِّداء - إيذانًا بأنَّ الإسرائيليَّ كان مغلوبًا، وأنَّ القبطيَّ اشتدَّ عليه في حمل خشب له إلى مطبخ فرعونَ، فكان بذلك ظالمًا؛ إذ لا يُجبَرُ أحدٌ على عملٍ دون رضاه[3].

سرُّ إيثارِ وضع الاسم الموصول موضعَ الاسم الظاهر:

انتسابُ الإسرائيليّ إلى شيعة موسى عليه السلام

أوثرَ في قوله تَعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ﴾ استعمالُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 88.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 280، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 263.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 88 - 89.

الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِى﴾ وصلته، والنُّكتة البلاغيَّة في إيثار وضع الاسم الموصول موضعَ الاسم الظاهر أنَّه يسمح بوصفهِ بجملة الصِّلة والتَّنبيه على علَّة الحُكم، فأحدُ الرجلين المتقاتلين موصوفٌ بأنَّه من شيعة موسى ﷺ، وهو علَّةُ سؤالِ النُّصرة منه.

نكتةُ التَّعبيرِ بالاسم الموصول في ﴿ٱلَّذِى﴾:

نـصـرةُ المظلوم واجبٌ في جميع الملل

عُبِّر بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِى﴾ وصلته دون الاسم الظّاهر في قوله تَعالى: ﴿عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾؛ تنبيهًا على علَّةِ الحُكم، وهو كون هذا الرَّجل عدوًّا لموسى ﷺ؛ بكونه قبطيًّا من قوم فرعون، ولكونه ظالمًا والإسرائيلي مظلومًا، فقد ذكرت كُتُبُ التَّفسيرِ أنَّ القبطيَّ كان طبّاخَ فرعونَ، وقد أراد تسخيرَ الإسرائيليِّ عنوةً لحمل الحطب إلى مطبخه، فكان سببَ تقاتلهما، فعندما استغاثَ بموسى ﷺ هبَّ إلى نصرته؛ لأنَّ نصْرَ المظلومِ واجبٌ في جميع الملل[1].

بلاغةُ استعمالِ ﴿مِنْ﴾ في ﴿مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾:

مـعـاداةُ موسى ﷺ للظالمين

وردَ في قَوله تَعالى: ﴿عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ حرفُ الجرِّ ﴿مِنْ﴾، ومعناه في هذا السّياق التَّبعيض، بمعنى: أنَّ أحد الرَّجلين المتقاتلين بعضُ عدوِّه، فقد كان قبطيًّا من قوم فرعون، وكان موسى من بني إسرائيل، وقد علم موسى هذه العداوةَ وأسبابَها من قبلُ.

نكتةُ التَّعبيرِ بلفظ ﴿فَوَكَزَهُۥ﴾:

مسارعةُ موسى ﷺ لـنـصـرة المظلوم

عُطِفَ قولُهُ تَعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ بحرف الفاء الدالَّة على التَّعقيب، ممّا يدلُّ على تتابع أحداث القصَّة وتسارعها، فعندما استغاث الإسرائيليُّ بموسى ﷺ؛ هبَّ لنصرته دون تباطؤٍ متوجِّهًا إلى القبطي الظّالم لكفِّه عن غيِّه.

والوَكْزُ الوارد في قوله: ﴿فَوَكَزَهُۥ﴾، بمعنى: الضربُ باليد مجموعًا

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 21/ 117.

كعقد ثلاثة وسبعين، إلّا أنَّ اللَّكزَ في اللَّحا، والوَكْزَ على القلب[1]، فيكون عليه السلام قد ضربه باليد، غير أنَّه قد أخرج ابن المنذر وجماعةٌ عن قتادةَ أنَّه عليه السلام ضربه بعصاه، فكأنَّه يفسِّر الوَكز بالدفع أو الطعن، وذلك من جملة معانيه في اللُّغة، ولعلَّه أراد بعصاه عصًا كانت له، فإنَّ عصاه المشهورة أعطاه إيّاها شعيب عليه السلام بعد هذه الحادثة، كما هو مشهور[2].

دلالةُ عودِ الضَّمير في ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾:

وَكْـــزُ مـوسى لـعـدوِّهِ نصرةٌ للمظلوم

يعود الضَّميرُ المتَّصل بالفعل ﴿فَوَكَزَهُۥ﴾ في قوله تَعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ على القبطيِّ الموصوف بقوله: ﴿عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾، والمعنى: فوكز موسى عليه السلام الذي هو من عدوِّهِ بعد استغاثة الذي هو من شيعته عليه، فاجتمع أمران: استغاثة الذي هو من شيعته به وكونه من عدوِّهِ.

بلاغةُ تقديمِ من وقع عليه الفعل:

بـطْـشُ مـوسى بـعـدوِّه القبطي دون ولـيِّـه الإسرائيلي

تقدَّم المفعولُ به في قوله تَعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ على الفاعل، وهو موسى عليه السلام؛ لقصد الاختصاص، بمعنى أنَّ بطْشَ موسى عليه السلام اقتصر على عدوِّهِ القبطي دون الإسرائيلي، إضافة إلى جنوح النَّظم إلى الاختصار الكائنِ في الإضمار دون الإظهار.

سرُّ مجيءِ الكلام على خلاف مقتضى الظّاهر:

إزالـــةُ الـلَّـبس ورفـــع الإبـهـام بالتَّصريح باسم موسى في الكلام

عُدِلَ عن الإضمار في قوله تَعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ إلى الإظهار في لفظ ﴿مُوسَىٰ﴾ مع أنَّ سياقَ القصَّة كلَّهُ خاصٌّ به، وقائم على استعمال الضمير؛ لنكتة رفع الإبهام المحتمل من تتابع الضَّمائر، فقد سبق ذِكرُ ثلاثة أطراف في السّياق، وهم الإسرائيليُّ والقبطي وموسى عليه السلام، وكلُّ واحد منهم يصلح عود الضَّمير عليه، فصرَّحَ بلفظِ موسى عليه السلام؛ إزالةً للَّبس ورفعًا للإبهام.

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 280.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 263.

نكتةُ العطفِ بالفاء في قوله: ﴿فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾:

تسبُّبَ الوَكزُ في قتل القبطيِّ

عُطِفَ قوله تَعالى: ﴿فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾ على جملة: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾، بحرف الفاء الدالَّة على التَّعقيب، بمعنى: أنَّ موتَ القبطي المعبِّر عنه بالقضاء عليه وقع مباشرةً بعد وكْزِ موسى عليه السلام له، فهو من تعقيب السَّبب بنتيجته.

سرُّ إضمارِ الفاعل في ﴿فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾:

تعدُّدُ التَّقديرِ النَّحويِّ وأثره في ثراء النَّظم القرآنيِّ

أُضمِر فاعل القضاء في قوله تَعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾، وقد اختلف العلماء في تعيينه، فقيل: إنَّ ﴿فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾ جملة تُقال بمعنى: مات لا غير، ففاعل ﴿فَقَضَىٰ﴾ محذوفٌ أبدًا على معنى قضى عليه قاضٍ، وهو الموت، وقيل: يعود ضميرُ الفاعل في قضى على موسى عليه السلام، وقيل: هو عائدٌ على الله تعالى، أي: فقضى الله سبحانه عليه بالموت، فقضى بمعنى: حَكَمَ، ولا يقضي بالموت غيرُه، كقوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ﴾ [سبأ: 14]، وقيل: يحتمل أن يعود على المصدر المفهوم من وكَزه، أي: فقضى الوَكْزُ عليه، أي: أنهى حياته، وكان موسى لم يتعمَّدْ قتلَهُ، ولكن وافقت وكزتُهُ الأجلَ[1].

بلاغةُ الكنايةِ في ﴿فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾:

شيوعُ القضاء على الشخص في القتل

تضمَّن قولُهُ تَعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾ كنايةً، فقوله: ﴿فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾، بمعنى: فَرَغَ منه؛ ليفيد بلازمه معنى قتلِه، وكلُّ شيءٍ فرغتَ منه؛ فقد قضيته، فتكون في قوله: ﴿فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾ كنايةٌ عن قتلِه وإنهاء دفنه في الرَّمل[2].

سرُّ التعديةِ بحرف الاستعلاء (عَلى):

تضمينُ القضاء معنى الوقوع

تعدّى الفعل ﴿فَقَضَىٰ﴾ في قوله تَعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 293، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 88.
(2) الهرري، حدائق الروح والريحان: 21/ 118.

عَلَيۡهِ﴾ بحرف الجرِّ (على)؛ لأنَّ أصلَ القضاء هنا: أنهى حياته، وهو بهذا المعنى يتعدّى بـ (على)، وحاصله: وقع القضاءُ عليه، وهذا سرُّ تعديته بـ(على) لتضمُّنه معنى الوقوع[1]، وقد يتعدّى الفعلُ بـ(إلى) لتضمينه معنى الإيحاءِ، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ﴾ [الحجر: 66].

بلاغةُ الفصلِ في ﴿قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ﴾:

مبادرةُ موسى عليه السلام إلى التَّوبة والنَّدم

فُصِلَت الجملةُ في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ﴾ عن الجملة قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾؛ لما بينهما من شِبه كمال الاتصال، وهو كونُ الجملة الثانية قويَّةَ الارتباط بالأولى، فقد وقعت الثّانية جوابًا عن سؤالٍ يُفهم من الجملة الأولى، ففُصِلت عنها، كما يُفصل الجوابُ عن السُّؤال[2]، فإنَّه هنا لمّا كان كأنَّه قيل: إنَّ هذا الأمرَ عظيم، فما ترتَّب عليه من قول من أوتي حكمًا وعلمًا؟ فأجيب بالإخبار عنه بأنَّه ندم عليه في الحال، وقال: ﴿هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ﴾[3]، وتكمن بلاغة مجيء الكلام على طريق الاستئنافِ البياني في إغناء السّائلِ عن أن يسأل، ولتكثيرِ المعنى بتقليل اللفظ، ولتنبيه السّامع إلى سرعة تنبُّهِ موسى عليه السلام إلى خطئِه[4].

بلاغةُ الكنايةِ في ﴿قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ﴾:

حفظُ النَّفسِ المعصومةِ من أصول الشَّرائع كلِّها

تضمَّن قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ﴾ ثلاثَ كناياتٍ، فإنَّه لمّا نسب قتْلَهُ القبطيَّ إلى عمل الشيطان؛ أفاد بلازمه أنَّ قتْلَهُ إيّاه كان خطأً، وأنَّ موسى لم يكن أُمِرَ بقَتْلٍ ولا قِتالٍ، والكناية الأخرى: أفاد التَّعبيرُ بعمل الشَّيطان الانتقالَ إلى لازمه، وهو أن

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 482.
(2) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص: 180.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 256.
(4) السكّاكي، مفتاح العلوم، ص: 252.

يكون هذا العمل من تحسين الشَّيطان وتزيينه وإغوائه، والكناية الثالثة: أنَّه لمّا نسبه إلى عمل الشيطان؛ انتقل الذِّهن بلازمه إلى أنَّه عملٌ مستقبح في جميع الشَّرائع، وأنَّ البشرَ لا يرضونه، وأنَّ حِفظَ النَّفس المعصومة من أصول الشَّرائع كلِّها[1].

بلاغةُ التَّعبيرِ باسم الإشارة ﴿هَٰذَا﴾:

اعترافُ النَّبيِّ بأنَّ عملَ الشَّيطان واضحٌ جليٌّ

استُعمِلَ اسمُ الإشارة ﴿هَٰذَا﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾، والإشارة للإشارةِ به إلى الضَّربة الشَّديدة الَّتي تسبَّب عنها الموت أو إلى الموت المشاهد من ضربته، أو إلى الغضب الَّذي تسبَّب عليه موت القبطي[2]، والنُّكتةُ البلاغيَّة في استعمال اسم الإشارة: تمييزُ العمل الذي هو القتل أكملَ تمييزٍ، للإشعار بأنَّ عملَ الشيطان واضح جليٌّ، ولتقرير أنَّه ما فعله إلّا خطأً، وأنَّ الشَّيطان أَوْقَدَ غضبه حتّى بالغ في شدَّة الوكز.

نكتةُ التَّعبيرِ بحرف الجرِّ ﴿مِنْ﴾:

القتْلُ من تسبُّب الشيطان

يُحتمل حرفُ الجرِّ ﴿مِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أن يكون للسَّببية، والمعنى: أنَّ هذا القتل من تسبُّب الشيطان، فهو الذي هيَّج غضبَهُ حتّى ضربَهُ، فقتله، وتحتمل أن تكون للتَّبعيض؛ لتفيد أنَّ أيَّ عمل يكون مثل هذا العمل هو من بعض عمل الشَّيطان، أو أن تكونَ لبيان الجنس بمعنى أنَّ القتلَ من جنس عمل الشَّيطان[3].

فائدةُ الإضافةِ في ﴿عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾:

القتلُ من اختصاص عمل الشَّيطان

الإضافةُ في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ على معنى الاختصاص، أي: اختصاص هذا العملِ وما يجري مجراه بالشَّيطان، ليفيدَ أنَّ ذلك العمل - من بدايته إلى أن قضى عليه

(1) الواحديّ، البسيط: 17/ 357، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 90.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 90.
(3) الواحدي، البسيط: 17/ 357، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 263.

– مِن نزْغِ الشَّيطان في يده، وأنَّ الغضبَ – الَّذي اقترنت به تلك الوكزة – كان من الشَّيطان ومن همزه، فنصَّ ﷺ أنَّ هذا القتلَ من عمل الشَّيطان[1].

بلاغةُ إسنادِ الفعل إلى سببه:

أُسندَ الفعلُ إلى الشَّيطان بسبب تحسينِهِ الفعل

تضمَّن قولُهُ تعالى: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ مجازًا عقليًّا، فقد نُسِبَ العمل إلى غير فاعلِهِ الحقيقيِّ للملابسة، فإنَّ قتْلَ القبطيِّ لمّا وقعَ بسبب تحسين الشَّيطان وتزيينه وإغوائه وتهييجه لغضب موسى ﷺ نُسِبَ إليه، فهو مجازٌ عقليٌّ بإسناد الفعل إلى سببه، والعلاقة سببيَّةٌ.

نكتةُ إيرادِ لفظ ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ دون (إبليس):

هلاكُ الشَّيطانِ وإهلاكه النّاس في النّيران

أوثرَ إيرادُ لفظ ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾، دون (إبليس)؛ لِما يفيده لفظ ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ بأصل اشتقاقِهِ من الدَّلالة على البُعدِ عن الخير، هذا إذا قلنا باشتقاقه من (شطن)، بمعنى: بَعُدَ، وبهلاكه وإهلاكه غيرَهُ بإيقاعهم فيما يوجب النّار؛ إذا قلنا باشتقاقِهِ من (شاط) بمعنى: احترق[2]، وعلى كلٍّ فكراهيةُ الشَّيطان مستقرَّة في النُّفوس، مركوزة في الفِطَرِ السَّليمة.

دلالةُ التَّعريف بـ(أل) في ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾:

جميعُ المعاصي برضا هذا الشَّيطان

جاء في قَوْله تَعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ لفظُ ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ معرَّفًا باللّام، فيمكن أن تكونَ (أل) للجنس، فيقتضي عموم الشَّياطين، ويمكن أن تكون (أل) فيه للعهد، أي: الشَّيطان المعهود وهو إبليس، وذلك لأنَّ جميع المعاصي برضا هذا الشَّيطان، والرّاضي يجري مجرى الفاعل له، وتدخل ذرّيَّته معه تبعًا[3].

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 280.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (شطن).
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 01/ 94.

دلالةُ فصلِ الجملة في الآية:

تعليلُ نسبةِ العمل إلى الشَّيطان

وردت الجملةُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ مفصولةً عن الجملة قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾؛ لأنَّ بينهما ما يُسمّى في البلاغة بـ (شبه كمال الاتِّصال)، وهو كون الجملةِ الثانية قويَّةَ الارتباط بالأولى؛ لوقوعها جوابًا عن سؤال يُفهم من الجملة الأولى، فتُفصَلُ عنها، كما يُفصل الجواب عن السُّؤال[1]، وفي هذه الآية جاءت جملةُ: ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ تعليلًا لوجهِ نسبة عمل قَتْلِ القبطي إلى الشَّيطان.

سرُّ التَّعبيرِ بـ ﴿إِنَّهُۥ﴾ في الآية:

الأصلُ في النَّفس الإنسانية الخيرُ

صُدِّرت الجملة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ بحرف (إنَّ) لنكتةِ تعليل نسبة العمل إلى الشَّيطان، وهو تعليلُ كونِ شدَّة غضبهِ من عمل الشَّيطان؛ إذ لولا الخاطرُ الشَّيطانيُّ؛ لاقتصر على زجر القبطيِّ، أو كفِّه عن الَّذي من شيعته، فلمّا كان الشَّيطان عدوًّا للإنسان، وكانت له مسالك إلى النُّفوس؛ استدلَّ موسى بفعله المؤدّي إلى قتلِ نفس أنَّه فعلٌ ناشئ عن وسوسة الشيطان، ولولاها؛ لكان عملُهُ جاريًا على الأحوال المأذونة، وفي هذا دليل على أنَّ الأصل في النَّفس الإنسانيَّة هو الخير وأنَّه الفطرةُ، وأنَّ الانحرافَ عنها يحتاج إلى سببٍ غير فطريٍّ، وهو تخلُّل نزغِ الشَّيطان في النَّفس[2].

فائدةُ التَّنكير في ﴿عَدُوٌّ﴾:

عداوةُ الشَّيطان للإنسان عظيمةٌ قديمة

جاء لفظ ﴿عَدُوٌّ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ نكرةً، والنُّكتة في تنكيره التَّعظيم والتهويل، فإنَّ الشَّيطان لمّا جُبِل على الخبث والشَّرِّ؛ كانت عداوتُهُ لأصل نوع البشر عظيمة، مستقرَّة في

(1) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص: 180.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 90.

طبعه، لا يهنأ له بال ما دام عدوُّه ومحسوده في حالة حسنةٍ، وفي هذا ما يدعو إلى الحذر منه.

بلاغةُ حذف متعلّق ﴿عَدُوٌّ مُّضِلٌّ﴾:

حُذِفَ متعلِّق لفظ ﴿عَدُوٌّ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾؛ كونه معلومًا بدلالة المقام، فالشَّيطان عدوٌّ لآدم وذريَّته من يوم خَلْقِهِ، وقد تكرَّر في القرآن الكريم كثيرًا تذكيرُ النّاس بعداوة الشَّيطان لأبيهم آدم وذرّيَّته من بعده؛ ليعلموا أنَّها عداوةٌ مستمرَّة بين النوعين، فيحذروا من كل ما هو منسوبٌ إلى الشَّيطان ومعدود من وسوسته[1].

شـهـرةُ عـداوة الشَّيطان لبني الإنسان

دلالةُ التَّعبيرِ بلفظ ﴿مُّضِلٌّ﴾:

وُصِفَ الشَّيطان في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ﴾ بأنَّه عدوٌّ مضلٌّ، فرُتِّبَ على الإخبار عنه بالعداوة وصفُهُ بالإضلال؛ لأنَّ العدوَّ يعمل لإلحاق الضرِّ بعدوِّه[2]، ولا ضرر أعظمُ من إضلاله الإنسان وجرّهِ إلى الطُّغيان المفضي إلى سخط الرحمن وتصليته النّيران.

سـعـيُ الـعـدوِّ لإلـحـاق الـضـرِّ بعدوِّهِ

دلالةُ الوصفِ بلفظ ﴿مُّبِينٌ﴾:

أوثرَ في قوله تعالى: ﴿عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ تأكيدُ عداوةِ الشَّيطان بالوصف ﴿مُّبِينٌ﴾، من الفعل أبان اللّازم، أي: بَيِّنٌ العداوةِ والإضلال، فعداوته وإضلاله في غاية البيان والظُّهور، ما في شيءٍ منهما خفاء، والمبين أصلُهُ المُظهِر للعداوة، بحيث لا تخفى على من يتتبَّع آثار وسوسته وتغريره، وما عامل به آدم من حين خلقهِ إلى حين غرورهِ به، ففي ذلك كلِّه إبانةٌ عن عداوته، ووجهُ تلك العداوة أنَّ طبْعَهُ ينافي ما في الإنسان من الكمال الفطري، المؤيَّد بالتوفيق والإرشاد الإلهيِّ، فلا يحبُّ أن يكون الإنسان إلّا في حالة الضلال والفساد.

الطبعُ الشيطانيُّ المنافي للصَّلاح الإنسانيِّ المؤيَّد بالتَّوفيق الإلهيِّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8 - ب/ 67.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 90.

ويجوز أن يكونَ لفظ ﴿مُّبِينٌ﴾ مستعملًا مجازًا في القويِّ الشَّديد؛ لأنَّ شأنَ الوصف الشَّديد أن يظهرَ للعيان[1]، وفي التَّعبير بلفظ ﴿مُّبِينٌ﴾ أيضًا عتابٌ للنَّفس وندمٌ على العمل؛ لأنَّه إن كان ظاهرَ العداوةِ والإضلال؛ كان وقوع القتلِ ممّا لا ينبغي، فالقصد منه العتابُ وتأكيد النَّدم.

بلاغةُ التَّذييل في ختام الآية:

تـأكـيـدُ عـداوةِ الشَّيطان بإخراج الـكـلام مـخـرجَ الأمثال

جاءتِ الأوصافُ في ختام الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ مطلقةً من غير تقييدٍ على سبيل التَّذييل، فتفيدُ معنى العموم والكليَّة، ولتخرج مخرجَ المثل مع تضمُّنها تأكيدَ ما قبلَها.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الغفلة والسَّهو والنِّسيان:

الـغـفـلـةُ تـركٌ باختيار الغافل، أمّـا الـنـسـيانُ؛ فـهـو تـركٌ بغير اختيار

يتجلّى الفرقُ بين لفظَي (الغفلة) و(النِّسيان) في كون الغفلةِ تركًا باختيار الغافل، أمّا النسيانُ؛ فهو تركٌ بغير اختيار الإنسان، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: 205]، ولم يقل: ولا تكن من النّاسين، فإنَّ النِّسيان لا يدخل تحت التَّكليف، فلا يُنهى عنه[2]، ويقوّي هذا الفرقَ أنَّ النِّسيان غير مؤاخذٍ بهِ لقول النَّبي ﷺ: «إنَّ الله وضع عن أمَّتي الخطأ والنسيان، وما استُكرهوا عليه»[3]، والغفلةُ تكون عمّا يكون، والسَّهو يكون عمّا لا يكون، تقول: غفلتُ عن هذا الشَّيء حتّى كان، ولا تقول: سهوتُ عنه حتّى كان؛ لأنَّك إذا سهوتَ عنهُ؛ لم يكن، ويجوز أن تغفُلَ عنه، ويكون، وفرقٌ آخر: هو أنَّ الغفلةَ تكون عن فعل الآخر، تقول: كنت غافلًا عما كان من فلان، ولا يجوز أن يُسها عن فعل الآخر[4].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8 - ب/ 67.
(2) ابن القيّم، مدارج السّالكين: 6/ 406.
(3) أخرجه ابن ماجة في سننه، رقم: (2045).
(4) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 388.

التَّقاتل والتَّنازع والتَّخاصم:

دلالـــةُ صيغة التَّـفـاعـل على المـــشـــاركـــة والتَّرابط

تتَّفق هذه الألفاظُ (التَّقاتل) و(التَّنازع) و(التَّخاصم) على معنى الصيغة الصرفيَّة، فكلُّها على صيغة التَّفاعل، وهي تدلُّ على الاشتراك في أمر[1]، كما تتَّفق هذه الألفاظُ في كونها مرتبطةً، فكلٌّ من التَّنازع والتَّخاصم قد يُفضي إلى التَّقاتل.

وتختلف هذه الألفاظُ: في كون التنازع والتَّخاصم يُطلقان على سبيل الحقيقة، أمّا التَّقاتُل؛ فيطلق على الحقيقة بمباشرة أسباب القتل، وقد يُطلق على التنازع والتخاصم على سبيل المجاز؛ لأنَّهما قد يفضيان إلى القتل.

الشَّيعة والجماعة والأتباع:

عمومُ الجماعة واخـتـصـاص الشَّيعة بواحد

بين هذه الألفاظ عمومٌ وخصوص، فلفظُ الجماعة عامٌّ في كلِّ تجمُّع لأشخاص، ويختصُّ الأتباع بأنَّهم أشخاص يتابعون جهة واحدة، وأمّا الشَّيعة؛ فهي جماعة خاصة تتشيَّع لواحد، وتميل إليه من محبَّتهم له، وأصلها من الشياع، وهي الحطب الدِّقاق التي تُجعل مع الجزل في النار لتشتعل، كأنَّه يجعلها تابعًا للحطب الجزل لتشرقَ[2].

الإغاثة والنُّصرة والمعونة:

عـمـومُ المـعـونةِ وخـــصـــوص النُّصرة بالغلبة والإغاثة بالشدَّة

الإغاثةُ: تقديمُ الغوث، وهو الإنقاذ من الشِّدَّة والهلكة، والمعونة: تقديم العونِ، فهما يشتركان في عموم تلبية الدُّعاء، إلا أنَّ الفرقَ بينهما من جهة أنَّ طالبَ الغوثِ مسلوبُ القدرة، وطالب العون ضعيفها[3]، والنُّصرة لا تكون إلّا على المنازع والخصم والمناوئ المشاغب، والإعانة تكون على ذلك وعلى غيره، تقولُ: أعانه على من غالبَهُ، ونازعه، ونصره عليه، وأعانه على فَقْره؛ إذا أعطاه ما

(1) الحملاوي، شذا العرف، ص: 30 - 33.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 307.
(3) الماورديّ، النّكت والعيون: 298/ 2.

يعينه، وأعانه على الأحمال، ولا يقال: نصره على ذلك، فالإعانة عامَّةٌ والنُّصرة خاصة[1]، كما تشترك الاستعانة والاستغاثة بالمخلوق بكونها على نوعين: أحدُهما فيما يقدر عليه، وهذا جائزٌ، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة: 2]، وقال: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾، وثانيهما فيما لا يقدر عليه إلّا اللّهُ، كالاستعانة بالأموات، والاستغاثة بالأحياء، من شفاء المرضى، وتفريج الكربات، ودفع الضرِّ، وهو غيرُ جائز[2].

الوَكْز واللَّكْز:

الـوَكْـزُ بجميع الـكـف، واللَّـكز بأطراف الأصابع

يشتركُ الوَكْزُ واللَّكز في كونهما ضربًا بالكفِّ، ويختلفان في كون الوكز بجميع الكف، والثاني: بأطراف الأصابع، وقيل بالعكس، وقيل: اللَّكز في الصدر، والوَكز في الظَّهر، وقيل: اللَّكزُ في اللَّحا، والوَكْزُ على القلب، والنَّكزُ كاللكز، وحكى الثَّعلبي أنَّ في مصحف ابن مسعود (فنكزه) بالنّون، والمعنى واحد[3].

(1) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 189.
(2) الفوزان، كتاب التّوحيد، ص: 101.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 280، وابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 15/ 227.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأربعون،
سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 40 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-90-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 40 : المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-90-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9294238 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»